تفريغات

أصول التفسير

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

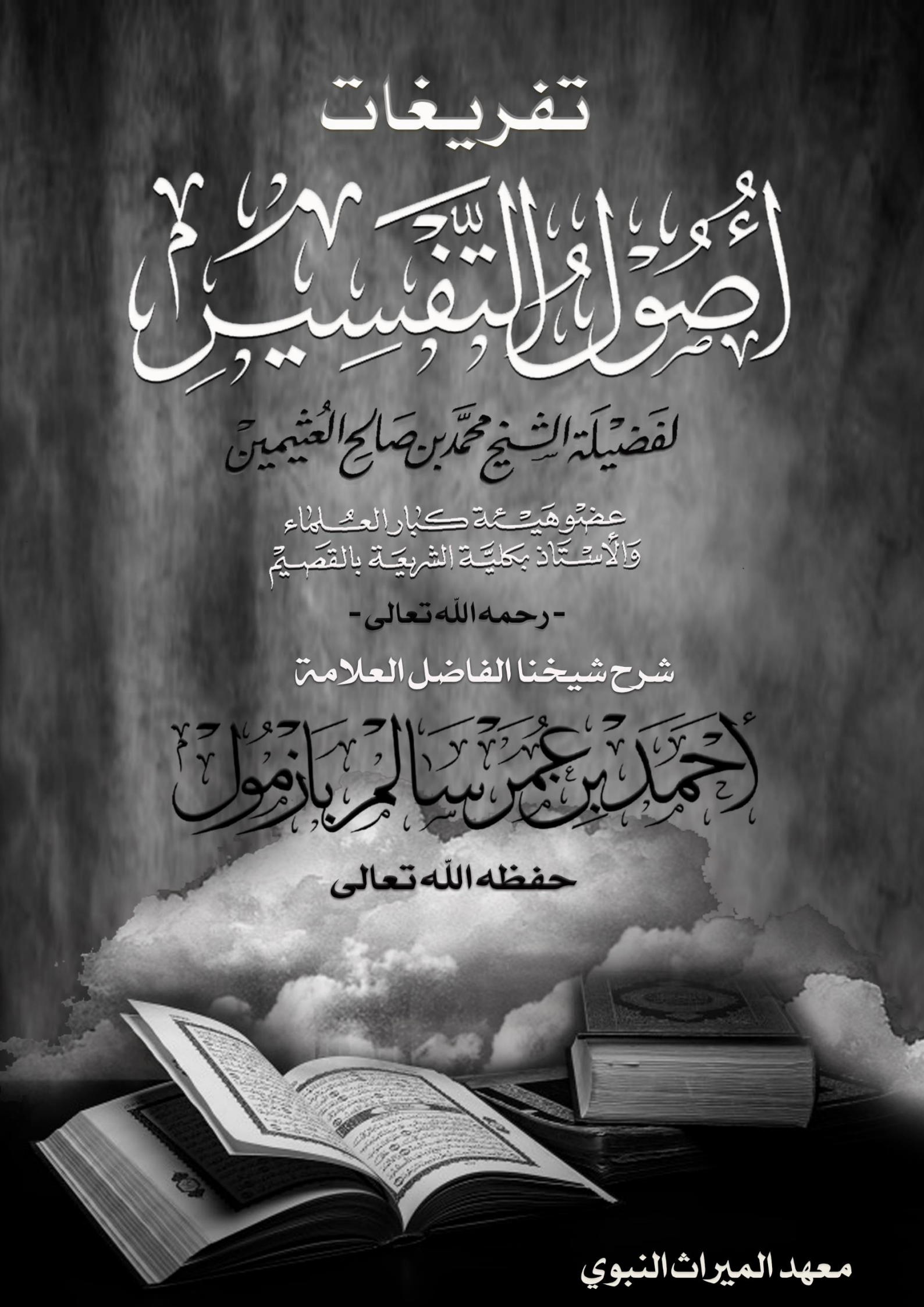

معهد الميراث النبوي

إِنَّ الحَمْدَ لِله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ألا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَام الله ، وَخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم - ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أمّا بعد :

فلا زال الدرس مستمرًا في كتاب " **أصولٍ في التفسير**" ، أو " **أصول التفسير لشيخنا العلامة محمد ابن صالحٍ العثيمين - رحمه الله تعالى –** " ، وقد انتهينا إلى قوله - رحمه الله تعالى – : " **نزول القرآن** " ؛ وهذا المبحث نزول القرآن سيتكلم فيه الشيخ - رحمه الله تعالى - عن ابتداء نزوله ، يعني أول ما نزل القرآن ؛ سواءٌ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أو من السماء الدنيا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أو على النبي - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل ، وأيضًا سيتكلم في مبحث نزول القرآن عن مسألة : **أول ما نزل من القرآن ، ما هو ؟**

وعن مسألة : **أسباب النزول .**

فكلها تندرج تحت مبحث نزول القرآن ، ولكن بالاعتبارات السابقة :

الاعتبار الأول : يتكلم عن نزول القرآن من حيث ابتداء نزوله .

والاعتبار الثاني : يتكلم عن نزول القرآن من حيث أول ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - .

والاعتبار الثالث : يتكلم عن نزول القرآن من حيث معرفة أسبابه ؛ أسباب النزول .

فالمسألة الأولى وهي : نزول القرآن باعتبار ابتداء نزوله ؛

قال فيها الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" نزل القرآن أول ما نزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في ليلة القدر في رمضان ، قال تعالى :﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[1]

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[2]، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ ﴾[3] ، وكان عمرُ النبي - صلى الله عليه وسلم - أول ما نزل عليه القرآن أربعين سنة على المشهور عند أهل العلم ، وقد روي عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - وعطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم ، وهذه السن هي التي يكون فيها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك ، والذي نزَّل القرآن من عند الله تعالى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل أحد الملائكة المقربين الكرام ؛ قال تعالى عن القرآن :﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[4]

---

[1]) سورة القدر (الآية 1)
[2]) سورة الدخان (الآية 3-4)
[3]) سورة البقرة الآية ١٨٥
[4]) سورة الشعراء الآية ١٩٢ - ١٩٥

وقد كان لجبريل - عليه السلام - من الصفات الحميدة العظيمة ، من الكرم والقوة والقرب من الله تعالى والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة ؛ ما جعله أهلًا لأن يكون رسول الله - تعالى - بوحيه إلى رسوله ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[5] ، وقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾[6] ، وقال :﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[7] "

أقول - بارك الله فيكم - :

يذكر علماء علوم القرآن وهذه المسألة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - متعلقة بعلوم القرآن ولكن تُذكَر في أصول التفسير تَبعًا وتمهيدًا لبعض الأبواب كبَابِ " **أسباب النزول** " لمن أراد أن يذكرها من المصنفين .

فالقرآن نزل جملةً إلى اللوح المحفوظ ، ثم نزل من اللوح المحفوظ على النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنَجَّمًا – يعني مُفَرَّقًا في ثلاثٍ وعشرين سنة – وهذا سيأتينا - إن شاء الله - ما يتعلق به ، فنزل إلى اللوح المحفوظ ثم إلى السماء الدنيا ، ثم نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنَجَّمًا .

ومعنى **منجما** : أي مُفَرَّقًا ، وهذا من إعجازه ، وهذا الأمر - أعني نزول القرآن مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا - فيه خصوصية لهذا الكتاب عن الكتب السابقة

[5]) سورة التكوير الآية ١٩ - ٢١
[6]) سورة النجم ٥- ٧
[7]) سورة النحل الآية ١٠٢

حيث نزلت دفعةً واحدة ، كما استشكل ذلك بعض الكفار : **لماذا لم ينزل جملةً واحدة ؟!**

ولله - عز وجل - في ذلك حِكَم :

- منها : تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - .

- ومنها : أنه ينزل على حسب الأحداث والوقائع ، وقد ينزل لبيان الحكم ، أو ينزل ابتداءً للتشريع .

- ومنها أيضًا : التحدي والإعجاز للعرب ، بل وللإنس والجن جميعًا أن يأتوا بمثله .

الشيخ هنا تعرَّض اختصارًا لنزول القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن أول ابتداء8 نزوله في رمضان في ليلة القدر منه كما أفاده قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾[8] ، ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ** ﴾ : أي القرآن .

﴿ **فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ : أي ابتداء نزوله في رمضان في ليلة القدر ، وكذا قوله : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ** ﴾[9] ؛ هي ليلة القدر .

﴿ **إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** ﴾ ، ليلة القدر ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[10] ، وكذا قوله : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾[11] ؛ أي في ليلة القدر من شهر رمضان ، وبَيَّن أن نزول القرآن فيه هدى للناس ؛ ﴿ **وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾[12] .

ثم بيّن الشيخ – رحمه الله تعالى – ما عليه أكثر أهل العلم واشتُهر بينهم أنه كان حينها في سن الأربعين ؛ وهذا أيضًا منقول عن : ابن عباس ، وعطاء ، وسعيد بن المسيب وغيرهم من أهل العلم ، وقد جاء في ذلك

---

[8]) سورة القدر [الآية : 1] .
[9]) سورة الدخان [الآية : 3] .
[10]) سورة الدخان [الآية : 4] .
[11]) سورة البقرة [الآية : 185] .
[12]) سورة البقرة [الآية : 185] .

حديث ضعيف ضعفه الألباني : (**إن الله ما بعث رسولا أو نبيا إلا في سن الأربعين**) ولكن من جهة التاريخ والّسيرة فكان عمره – عليه الصلاة والسلام – حين نُبئ وأُرسل أربعين سنة .

ثم بيّن الشيخ أنّ هذه السن - أعني الأربعين - يكون فيها بلوغ الرشد وكمال العقل وتمام الإدراك ؛ يعني إن قيل **لماذا أرسل على الأربعين من عمره ؟**

فالجواب عن ذلك : أنّ هذه السن هي التي يكون بها بلوغ الرشد ؛ يعني أن يبلغ حسن التصرف والتدبير في أمره ، وكمال العقل ؛ يعني أن يبتعد عمّا لا يليق من الأمور ، ويفعل الأمر المعقول .

وتمام الإدراك أي يفهم ؛ لأنّ نزول الوحي جبريل – عليه السلام – على النبي – صلى الله عليه وسلم – كما حصل له في الغار أول مرة يحتاج قوة في العقل والبدن ، ورُشدًا وتمامًا للإدراك حينها ، فناسب أن يكون السن كذلك ؛ أعني الأربعين .

ثم بيّن **من الذي نزل بالقرآن على النبي ؟**

الذي نزل بالقرآن على النبي – صلى الله عليه وسلم – هو روح القدس وهو الروح الأمين – عليه الصلاة والسلام – جبريل ؛ وجبريل أمين الملائكة ، اختاره الله واصطفاه لأن يكون رسولًا بينه وبين رسله فنزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن ، وجبريل من الملائكة المقربين الكرام .

كما قال الله – عز وجل - : ﴿ **وَإِنَّهُ** ﴾ - أي القرآن - ﴿ **لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ - أي أنه من عند الله - عز وجل - ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** ﴾ أي جبريل - عليه الصلاة والسلام - ؛ فهو أمين الملائكة .

نزلَ ﴿ **على قلبِكَ** ﴾ خطابٌ للنبي – صلى الله عليه وسلم - .

﴿ **لتكونَ** ﴾ لام التعليل أي لكي تكونَ ﴿ **من المُنذِرِينْ** ﴾ أي تُنذِر الناس ؛ من خالف الحقَ ومن كفرَ ومن جحدَ هلك ، ومن اتبعَ الحقَّ من الناس تُبشرهم .

نزلَ القرآن بلسانٍ عربيٍ مبين ، فلم ينزل بالعِبرية أو بلسانٍ أعجميٍ ؛ بل بلسانٍ عربيٍ مُبين أي : بَيِّنٌ واضح المعنى ، يُبينه ويُوضحهُ .

وهنا لطيفة يذكرها العلماء عند هذا المَبحثْ وهي :

أن الله – عز وجل - حين يُنزِّل أو يُرسل رسولًا يُرسله في وقتٍ اشتهر عند أو في ذلك الزمن أمرٌ ما ؛ فيُرسل هذا الرسول بأمرٍ يفوقهُ و يُعجِزُهُم أن يأتوا بمثلهِ أو بأمرٍ لم يبلغوا له ، فمثلًا : في زمن عيسى – عليه السلام – كان الطبُ مشهورًا فكان عيسى يُبرئُ الأكمهَ والأبرصْ .

في زمن – موسى – كان السِحرُ موجودًا فأرسلهُ الله – عز وجل - بآيةٍ غلبت سِحرهم لذا أُلقِيَ السحرةُ ساجدون .

لمــاذا ؟

لأنهم علموا أن ما أتى به موسى - عليه الصلاة والسلام – ليس من وضع البشر وليس في مقدورهم بل ولا في مقدور الجان ، فعلموا أن ما جاء به – موسى – هو حقٌ من عند الله – عز وجل - فأذعنوا وآمنوا وأُلْقُوا سُجدًا لله – عز وجل - .

وكذلك في عهد نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل بعثتهِ كان العرب مشهورين بالفصاحة والبلاغة واللسان العربي وكانت لهم أسواق يتناشدون فيها الشعر والخطب وتدوّن وتعلّق الخطب والشعر الذي

يتفقون على حُسنه من هنا جاءت المعلقات لأنها تُعلق على أستار الكعبة ، فأرسل الله – عز وجل – نبينا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – وجعل من آياتهِ العُظمى - بل هي آيةٌ عُظمى - :
القرآن وهو كلام ربنا - بكلام عربي مبين - تحدى الله - عز وجل - به العرب إنسهم وجنهم أن يأتوا بمثله أو بسورة بمثله أو بعشر آيات فما استطاعوا إلا الهذيان وإلا الكلام الذي يضحك منه كل من سمعه ، فناسب في نزوله في وقته ما سبق .

ثم بين - رحمه الله تعالى - ما يتعلق بصفات جبريل ، فقال :

" وقد كان لجبريل - عليه السلام - من الصفات الحميدة العظيمة "

هنا لما يذكر علماء علوم القرآن ويذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - هذا المبحث أو هذه القضية مما يتعلق بجبريل - عليه السلام - فيه فوائد :

الفائدة الأولى : يبين من هو من الملائكة الذي نزل بالقرآن وهو جبريل - عليه السلام - .

الفائدة الثانية : يبين صفات جبريل - عليه الصلاة والسلام - ، **لماذا اصطفاه الله - عز وجل - ؟**

الفائدة الثالثة : فيه رد على الشيعة والرافضة أخزاهم الله الذين يقولون إن جبريل - عليه الصلاة والسلام - يعني خان الرسالة فبدل أن ينزل بها على علي نزل بها على محمد ، وهذا أمر يعني من القبح بمكان ، ومن السوء بمكان ، ومن عجيب أمرهم أنهم يقولون " **خان الأمين** " .

كيف أمين ؟ وكيف يخون ؟

لا يجتمعان ؛ هذا جبريل - عليه الصلاة والسلام - من الملائكة المقربين اختاره الله واصطفاه لأن يكون رسولًا بينه وبين رسولنا - صلى الله عليه

وسلم - وأدى الأمانة كما أمره الله - عز وجل - وأثنى الله عليه بثناءات عديدة من الكرم والقوة والقرب من الله والمكانة والاحترام بين الملائكة والأمانة والحسن والطهارة ما جعله - أي جبريل - أهلًا لأن يكون رسول الله - تعالى - بوحيه إلى رسوله بأن يكون أي جبريل رسول الله بوحيه إلى رسوله ؛ أي إلى محمد - صلى الله عليه و سلم - .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾

﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ** ﴾ يعني إنه القرآن .

﴿ **لَقَوْلُ رَسُولٍ** ﴾ يعني نزل به جبريل والكلام المرسل مع الرسول قد ينسب له بمعنى ؛ أنه كلام الله ولكن نسب لجبريل هنا لأنه هو الذي نزل به ، هو الواسطة بين الله وبين نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا معروف في اللغة واستعمالاتها : أن الرسول قد ينسب إليه القول .

إذا أرسل إنسانٌ شخصًا أو رسولًا ونقول له مرسول إلى شخصٍ آخر برسالة فيمكن لهذا المرسل إليه يقول : قولك كذا وقولك كذا ، مع أنه ليس بقوله ؛ إنما هو ناقلٌ للقول فباعتبار أنه ناقلٌ ورسولٌ بهذا القول ينسب إليه وهذا معروف في اللغة ، ولذلك قال الله - عز وجل - هنا : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ جبريل .

﴿ **ذِي قُوَّةٍ** ﴾ جبريل - عليه الصلاة والسلام – سيأتينا أن - يعني - لما رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - رآه معترضًا للأفق وقد سده بأجنحته كثيرة كما سيأتينا - إن شاء الله تعالى – .

﴿ **ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ** ﴾ يعني عند الله - عز وجل - له مكانةٌ وله منزلةٌ عظيمة .

﴿ **مُّطَاعٍ** ﴾ يعني يأتي إلى الملائكة ويأمرهم بما أمره الله به وكذا إلى رسله .

﴿ ثَمَّ ﴾ أي هناك .

﴿ أَمِينٍ ﴾ .. فالله - عز وجل - وصف جبريل - عليه الصلاة والسلام - بأنه ﴿ أَمِينٍ ﴾ وأنه يعني كريم ، وأنه صاحب قوة .

فلماذا يخون ؟

ولماذا ينزل على محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - دون علي - رضي الله عنه - ؟

وكيف يسكت علي عن ذلك ؟

وكيف يقبل النبي - صلى الله عليه وسلم – هذا ؟

وكيف يقرهم الله - عز وجل - ؟

تعالى الله عما تقول هذه الطائفة الخبيثة الرجسة النجسة ؛ التي يعني سُلبت العقل ، وسُلبت التقوى - نسأل الله السلامة والعافية - .

ولذلك أهل الأهواء والبدع كما ذكر السلف أول ما يُبتلون بأن تُسلب عقولهم ، فيتكلمون بالكلام المضحك والكلام الذي لا يقبله عقلٌ سليم

ثم قال : **" وقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾**[13] هذا كله وصفٌ لجبريل ، **وقال : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾**[14] ؛ أي المنزه المطهر .

﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي من عند الله - عز وجل – **﴿ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِين ﴾ .**

[13]) سورة النجم (الآية 5-6-7)
[14]) سورة النحل (الآية 102)

فإذًا نزل القرآن جملةً واحدة إلى اللوح المحفوظ ، ثم نزل إلى السماء الدنيا ، ثم نزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – منجمًا في ثلاثٍ وعشرين سنة ، وقلنا معنى منجمًا أي مفرقًا .

ونزوله منجمًا فيه وجهٌ إعجازي ، وذلك :

أنه نزل في هذه المدة في ثلاثٍ وعشرين سنة ؛ نزل القرآن من أوله إلى آخره ، من أول نزوله إلى آخر نزوله ، فيه من القوة وفيه من البلاغة وفيه من العظمة من أوله إلى آخره ما يدل على أنه نزل من عند الله .

وذلك أنه لو كان من وضع البشر لاختلف واختلفت قوته في أول نزوله عن آخر نزوله ، كما هو حال البشر ، فقد ذكر العلماء أن مثلًا المصنفين يختلف تصنيفهم في أول عمرهم عن آخره ، ففي آخره أقوى من أوله لأنهم يزدادون علمًا وقوةً و ، و ، و .... إلى آخره .

ولكن لما كان القرآن من عند الله – عز وجل – والله – عز وجل – عالم بكل شيء وقادر على كل شيء وهو كلامه - سبحانه وتعالى - وله الصفات الحسنى والصفات الكاملة كان القرآن في غاية من الكمال والجمال والحسن والحكمة والبلاغة ، فنزوله بهذه القوة في هذه المدة دليلٌ على أنه من عند الله وليس من عند البشر .

ثم تطرق الشيخ – رحمه الله تعالى – لمسألةٍ أخرى تتعلق بنزول القرآن باعتبار أول ما نزل من القرآن ، وهنا المراد به من حيث تحديد الآية أو السورة التي نزلت وأما ما سبق فمن حيث ابتداء تاريخ نزوله من حيث الزمن في رمضان في ليلة القدر ، طبعًا نزوله في ليلة القدر أيضًا فيه حكمة وهي تعظيم وتشريف لهذه الليلة وبيان عظمة هذا الكتاب العظيم .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

" أول ما نزل القرآن على وجه الإطلاق قطعًا الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهي قوله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿2﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿3﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ "

هذه الآيات كما في صحيح البخاري وغيره هي أول ما نزل به جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بالغار فجاءه فغطه الغطة وضمه إليه ثم قال له : **اقرأ** ، قال : **ما أنا بقارئ** ، ثم ضمه إليه فغطه الغطة الثانية ، قال : **اقرأ** ، قال : **ما أنا بقارئ** ، ثم ضمه إليه وغطه الغطة الثالثة ، فقال له: **اقرأ** ، قال : **ما أنا بقارئ** ، قال : **﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿2﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿3﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾**

كما أخبرت بذلك عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها - حيث بينت أنه هذا أول ما نزل من القرآن ، وبينت قبل ذلك في نفس الحديث أن أول ما بدأ به - صلى الله عليه وسلم – **" الرؤيا الصالحة "** فكان لا يرى شيئًا في نومه إلا رآه مثل فلق الصباح أي يقع ويتحقق .

ثم أنه **" حبب إليه التعبد والخلاء "** فكان يتعبد في الغار .

ثم ذكرت إتيان جبريل - عليه الصلاة والسلام - طبعًا ذكرت قبل ذلك أيضًا أنه كان يتزود طعامه وشرابه ويتعبد الليالي ذوات العدد وكل هذا كما يقول العلماء إرهاصات ومقدمات لتهيئة النبي - صلى الله عليه وسلم -لنزول القرآن عليه .

قال الشيخ : **" ثم فتر الوحي مدة "** فتر بمعنى انقطع ولم ينزل متتابعا ، ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر وهي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[15]

هذا من الشيخ - رحمه الله تعالى - إشارة إلى أن قول من قال بأن سورة المدثر هي أول ما نزل هو صحيحٌ باعتبار أنه أول ما نزل بعد فتور وانقطاع الوحي ، ولذلك هو ابتداءً **ماذا قال ؟**

قال : **" أول ما نزل القرآن على وجهٍ الإطلاق "** يعني دون تقييد قطعًا يعني اتفاقًا وجزمًا ، وأما رواية أن نزول سورة المدثر يعني هي أول ما نزل هي محمولة على معنى بعد انقطاع وفتور الوحي وهذا من حسن تصنيفه - رحمه الله تعالى - .

فذكر الدليل ؛ ذكر حديث عائشة فقال : **ففي (الصحيحين) : صحيح البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - في بدء الوحي قالت : " حتى جاءه الحق "** - يعني الشيخ اختصر فذكر الشاهد من الرواية - ،

قال : **" حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء "** ؛ يعني كان يتعبد في غار حراء ، **" فجاءه الملك "** ؛ وهو جبريل ، **فقال اقرأ ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما أنا بقارئ (يعني لست أعرف القراءة) ؛** هذا قول

القول الأول : " ما أنا بقارئ " بمعنى لست ممن يقرأ ؛ فلا أحسن القراءة ؛ فأنا أمي .

والقول الثاني : " ما أنا بقارئ " ؛ أي ما الذي أقرأه ؟ ما الذي أقرأه ؟ ما الذي تريدني أن أقرأه ؟

[15] سورة المدثر: من الآية ٢ إلى الآية ٥

هذا القول الثاني ، ولكن القول الأول أقرب عند بعض أهل العلم .

قال : **فذكر الحديث ، وفيه ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾ (العلق 1 - 5) ؛** أي الخمس الآيات .

قال : **" وفيهما "** ؛ أي في البخاري ومسلم **عن جابر - رضي الله عنه - ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال وهو يحدث** ؛ أي يتكلم ، عن فترة الوحي ؛ أي عن انقطاعه ؛ فتوره ، **بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء...) فذكر الحديث ، وفيه فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾**

فبين الشيخ من طريق الروايتن أن :

الأول : نزولٌ مطلق .

والثاني : نزولٌ مقيد .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" وثمت** ؛ أي هناك ، **وثمت آيات يقال فيها : أول ما نزل ،** والمراد أو ما نزل باعتبار شيء معين ، هذا من الشيخ ضابط وقيد مفيد جدًّا لمعرفة أول ما نزل بعد سورة العلق ، في قوله تعالى : **﴿ اقْرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَق ﴾**

ما هو الضابط ؟

أن النزول باعتبار شيء معين ، إما مثلًا أول ما أنزل في المواريث أول ما أنزل في القصاص أو ما أنزل في كذا .. ؛ فكله يصح .

طيب ؛ **هل يعارض هذا ما سبق ؟**

لا ؛ ما يعارض لأنه ما سبق أولية مطلقة ، فأول ما نزل من القرآن **﴿ اقْرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَق ﴾.**

فقال : والمراد أول ما نزل باعتبار شيء معين فتكون أولية مقيدة ، مثل حديث جابر - رضي الله عنه - في الصحيحين أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن سأله : **أي القرآن أنزل أول ؟** ، قال جابر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر** ﴾ ، قال أبو سلمة : أنبئت بأنه ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ ، فقال جابر : " **لا أخبرك إلا بما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم** – " ، قالَ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - : " **جاورت في حراء ، فلما قضيت جواري هبطت**) فذكر الحديث وفيه (**فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، وصبوا علي ماء باردا ، وأنزل علي** : ﴿ يَا أَيُّها ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى قوْله:﴿ وَٱلرِّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾)

فَهَذه الأَولية يقولُ الشَيخ التي ذكرها جابر - رضي الله عنه - باعتبار أول ما نزل بعد فترة الوحي أو أول ما نزل في شأن الرسالة – يعني - يقولون إن اقرأ أول ما نزل في النبوة ، لأن ليس فيها أن ينذر قومه ، و ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر قُمْ فَأَنْذِر** ﴾ هذه أول ما نزل في الرسالة أي : أنه مرسلٌ ومرسولٌ للناس .

قال لأن ما نزل من سورة اقرأ ثبتت نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وما نزل من سورة المدثر ثبتت به الرسالة في قوله : ﴿ **قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾

قال : ولهذا قال أهل العلم : " **إن النبي – صلى الله عليه وسلم – نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر** " .

فإذًا - بارك الله فيكم - خلاصة هذا المبحث أن : أول ما أنزل على الإطلاق :

﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾

وأما غير ذلك : فأوليةٌ مقيدة إما بعد فتور الوحي ، وإما مثلًا أولية باعتبار النبوة أو الرسالة أو نحو ذلك ، طيب .

نزول القرآن من حيث السبب والحكمة في نزوله :

القرآن - بارك الله فيكم - نزل لحكمةٍ عظيمة ، ولغايةٍ كريمة لهداية الناس وإرشادهم وليعبدوا الله على بصيرة ، فنزل ليقرأ وليعمل به ، ويتدبر من هنا ذكر العلماء بأن نزول القرآن على نوعين ، أو على حالتين :

نزولٌ عام :

يعني نزل للحكم السابقة ؛ لهداية الناس وإرشادهم وتعليمهم ؛ فهذا النزول العام للقرآن ، ويسمى النزول الابتدائي يعني ينزل بلا سببٍ خاص ينزل بلا سببٍ خاص وإنما سببٌ عام كما سبق .

ونزولٌ سببي :

أي بسببٍ خاص كسؤالٍ أو حادثةٍ أو واقعةٍ .

قبل أن ندخل لأسباب النزول - نقول بارك الله فيكم - :

إن **نزول القرآن الابتدائي :** هو الأكثر والأغلب .

وأما **نزول القرآن السببي** : بسبب سؤال أو قصة أو حادثة أو أمرٍ وقع ؛ فينزل القرآن في بيانه - هو يعني - ليس بالكثير ، ولذلك الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله تعالى - في الصحيح المسند من أسباب النزول - يعني تقريبًا - ذكر ما يقارب مئتين أو نحوها من الأسباب ؛ هذا الذي صح .

ولذلك لما يقول العلماء أسباب النزول ليس مرادهم أن غيرها من الآيات لم تنزل لسبب ، هناك سبب عام لهداية الناس وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وتعليمهم دينهم إلى آخره .

وهناك سببٌ خاص في نزول القرآن إما **سؤال** :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾[16] ، **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾**[17]

إما حادثة أو قصة فينزل القرآن في بيانها كقوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّـهِ ﴾[18]

والآيات التي نزلت في **بيان وفضح المنافقين** :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّـهِ ۘ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّـهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[19]

وفي غير ذلك من الآيات :

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ ... ﴾[20]

كان المنافقون يعني يرون أنهم هم الأعزاء وهم الأقوياء وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين هم الأذلاء -قبحهم الله هؤلاء المنافقون - :

﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ ﴾ يعني المنافقون .

﴿ الْأَذَلَّ ﴾ يعني النبي والمسلمين ، ولذلك رد الله – عز وجل - بقوله :

﴿ وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

---

[16]) سورة الإسراء 85
[17]) سورة البقرة الآية189
[18]) سورة المجادلة الآية 1
[19]) سورة المنافقون الآية 1
[20]) سورة المنافقون الآية 8

وقد صنف العلماء في أسباب النزول كتبًا كثيرة **الواحدي** له أسباب النزول مطبوع في مجلد ، أيضًا **السيوطي** له في أسباب النزول كتاب مطبوع في مجلد ، أيضًا **الحافظ بن حجر** من قبله " **العجاج في بيان الأسباب** " ، ومن أفضلها محررًا كتاب الشيخ **مقبل الوادعي - رحمه الله تعالى –** " **الصحيح المسند في أسباب النزول** " وهو مطبوع في مجلد لطيف .

ولعلي أكتفي بهذا القدر من المدارسة والمذاكرة والذي أسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا بما سمعنا ويكون حجة لنا لا حجة علينا ويبصرنا في أمر ديننا وأن يصلح أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا وأن يبعدنا عما يغضبه ويسخطه علينا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين .

فريق صيانة السلفي